مقدمة

في علم التوجيه

كتبه

أبو عبد الله المقرئ

الزين بن أحمد السيد السربيني

مدرس القراءآت وعلوم القرءآن بالأزهر الشريف

المجاز والقارئ المقرئ بالقراءات العشر الصغرى والكبري

تمهيدي الماجستير كلية القرآن الكريم جامعة الأزهر

المنتدب بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الهدى بدولة بوركينا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله شهادة ألقاه بها يوم الدين وبعد

اعلم رحمك الله يا حامل القرآن أن هناك علوما لا غنى لك عنها فبعد حفظك كلام الله تعالى ومعرفة قراءته وقراءاته لابد من معرفة جملة من العلوم تكون لك نبراسا مضيئا في فهمه وكيفية التعامل معه ومن هذه العلوم علم التوجيه

فهلم بنا لندرس هذا العلم النبيل ونعرف نشأته وأنواعه وأحكامه وضوابطه ومنزلته وفضله

فشمر عن ساعدى الجد والله لا يضيع نصيب كل مجتهد ولا تنس قول نبيك صلى الله عليه وسلم" خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

كتبه/
أبو عبد الله
الزنفلى بن أحمد السيد الشربينى
مدرس القراءات وعلوم القرآن بالأزهر الشريف
والمنتدب بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الهدى بدولة بوركينا

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

(علم التوجيه)

سبب ظهوره

عندما اتسعت رقعة الإسلام وانتشرت الفتوحات ودخل الناس فى دين الله أفواجا وتشعب بالمسلمين الأهواء والتحزبات ومطامع الدنيا والمذاهب كثرت الألسنة على كتاب الله تعالى وكل يبحث فيه عن آية يقوى بها حجته ضد خصمه ولو بالتأويل المغلوط والتفسير المقلوب وهذا فضلا عن أعداء الإسلام الذين يطعنون فيه ويشنون غاراتهم الدهماء وفتنهم البهماء ليعبثوا بعقول الضعفاء من عوام المسلمين ،فكان كتاب الله بين تفريط أتباعه وإفراط أعدائه فما كان من التابعين أحفاد الصحابة الميامين وسلالة الرجال الصادقين إلا أن انبروا شاكين محابرهم وأقلامهم ليذبوا عن كتاب الله ويقيدوا علومه ورسومه فلا يكون ألعوبة أو نهبة بأيدى هؤلاء الغواة وأولئك الهواة

بعض صور الطعن فى القرآن

فكان مما قال أصحاب الدعاوى الباطلة يطعنون في كلام الله تعالى ،يقولون إن القرآن كتاب ليس بعربى وفيه من الكلام الأعجمى وفرة من الكلمات

والأعجب أن منهم فئة زعموا أن لغته ليست بأعجمية ولا أصل لها فى العربية فجعلوه بلا هوية وأخرجته عن سياق اللغة العربية فتارة تطعن فى نظمه وبيانه ولغته فضلا عن عربيته إما بلسان منافق معلوم النفاق أو زنديق محارب مجاهر بكفره أو بجهل بعض أتباعه وتأويلهم

فكم من منكر لقراءة ابن عامر فى سورة الأنعام من قوله تعالى:"وكذلك زين لكثير من المشركين أولادهم شركائهم ليردوهم ....."

وكم من معقب على قراءة حمزة في سورة النساء:"واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام....."

وكم من معترض على تاءات البزى والتقاء الساكنين من نحو" نعما "و"يخصمون" و"تعدوا "و"اسطاعوا" وإدغامات البزي بدعوى أنها ليست بعربية الأصل

الرد على الطاعنين

قلت فما أعظم حجة الجاهل- ولكن على نفسه فحسب - وقد صدق فيهم قول القائل

قد تنكر العين ضوءالشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

والقائل

أتانا أن سهلا ذم جهلا * علوما ليس يدريهن سهل

علوما لو دراه ما قلاها * ولكن الرضا بالجهل سهل

ونسى هؤلاء القوم أن التواتر حجة فى ذاته ويكفيه حجة أن قرأ به خير من نطق بالضاد محمد صلى الله عليه وسلم وتولى نشرها من هو أعلم منهم باللغة العربية فالكسائى وحمزة وأبو عمرو ثلاثة من أئمة القراءة واللغة خصوصا والدين عموما ولكن بعد حين من الدهر من رحيلهم ظهر الأصاغر بالنسبة لهم واعترضوا كما ذكرت لك على قراءاتهم وأنه نزل على عرب خلص من أفصح القبائل العربية وخير من نطق بالضاد فلما لم يطعنوا فيه كان من دونهم أوجب وأعجز عن الطعن

صيانة العرب للغة العربية

إن الفرزدق عندما لحن فى بيت من الشعر فى حضرة الخليفة وراجعه أحد جلساء الملك وكان من النحاة غضب وتبرم وقال نحن نقول وأنتم تأولون !!!فواحرَّقلباه ممن يطعن فى أصح كلام وأنسب بيان- كلام الله تعالى - وما دونه تشوبه الألحان وجنابه لم يزل محفوظا نحوشعر الفرزدق

والعرب لم تكن لتفرط في شيء من اللغة العربية او تخون لسانها وقد نزل القرآن بها فآمنوا به وشهدوا ببلاغته حتى قال الوليد إن فيه لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمغدق وإن أسفله لمثمر وإنه يعلو ولا يعلو عليه وإن كان ثم شيء من ذلك فإنما هو عن جهالة بعضهم لاطعنا فيه

فابن عباس رضي الله عنهما لم يكن يعرف معنى فاطر حتى أتاه أعرابيان يختلفان على بئر كل واحد يقول أنا فطرتها حتى عرف معناها وهو من هو الملقب بترجمان القرآن

ولقد قال الشافعي رحمه الله تعالى " لا يحيط باللغة إلا نبي"

يحكى لنا كتب التاريخ أن الحجاج اجتمع بنصر بن عاصم وسأله إن كان يلحن في كتاب الله تعالى فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فألح عليه حتى أخبره بأنه ينصب ومساكن ترضونها من التوبة فقال إذن لا تسمعنى بعدها أبدا ألحن فنفاه إلى بلاد فارس

وسئل عبد الملك عن كثرة شيبه مع شبابه فقال شيبنى اللحن وصعود المنابر

وكان النابغة من نقاد العرب ورواد أسواقهم وفى محضر له أتت الجارية تغنى قصيدته التى فيها :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص البنان كأنه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

بكسر الدال رعاية للقافية فظلت ترددده لينتبه للحنه حتى غيره ، وغيره مما ذكرته في كتاب الأحرف السبعة

علماء القراءت هم في الأصل علماء لغة

قال ابن الحاجب في الرد على النحاة :

" فليس قولهم بحجة إلا عند الإجماع ومن القراء جماعة من أكابر النحويين ، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوي فإنهم ناقلون لهذه اللغة وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى لأنهم ناقلوها عمن ثبتت عصمته عن الغلط في مثله ولأن القراءة ثبتت متواترة وما نقله النحويين لآحاد ثم لو سلم أنه ليس بمتواتر فالقراء أعدل وأكثر فكان الرجوع إليهم أولى" ا.هـ[1] وإليك نتف من بعض مناقب بعضهم رحمهم الله تعالى

[1] نقله البنا في الاتحاف ونسبه لابن الحاجب فصل في جواز الإشارة بالروم

منزلة أبى عمرو

ومع جلالة قدرأبى عمرو البصرى وهو من هو وعلو كعبه وطبقته على سيبويه بل هو أعلى من طبقة شيخه الخليل وله معه مساجلات علميه بما لم يجرؤ الخليل على مخالفته بل كان يذعن له

أورد ابن زنجلة فى كتابه حجة القراءات أن الخليل لقى الأصمعى - تلميذ أبى عمرو- فقال له:

"إن أبا عمرو يقول أؤلقى وأؤنزل وقال أؤنبّئكم ولم يقل أؤنْبِئكم بالتخفيف مثلهما فسأله الأصمعى فقال له لأنها من نبأت لا أنبات" اهـ فأذعن الخليل، فانظر كيف اعترض سيبويه على كتاب الله وهو في طبقة تلاميذ الخليل فكان أولى بالإذعان من الخليل

إن أبا عمرو من شدة التزامه وأمانته قال:

"لولا الأثر لقلت بحرف كذا وحرف كذا" وقال:

"إن مثلنا ومن قبلنا كمثل بقل تحت نخل طوال"

وعند ما سأله الأصمعى عن "باركنا" و"تركنا" وهما برسم واحد في سورة الصافات قال: "لا يُعرف هذا إلا من المشيخة الأولى"

وهذا فضلا عن أدبه وورعه رحمه الله ،يروى أنه كان لا يتقدم للإمامة فدعوه مرة وأصروا فلما قال استقيموا غشى عليه فلما أفاق سألوه لم؟فقال لما قلت لكم استقيموا سألت نفسى وهل أنت استقمت ؟

فيا لرقته وأدبه وإحساسه الذى يفتقر إليه أكثر الألمعيين الآن

وكان مع ذلك من السلف الصالح الذاب عن عقيدة الإسلام أمام أهل البدع كعمرو بن عبيد صاحب الورع الكاذب

وليس هذا مقامه ولكنى أردت ان أريك من هو أبو عمرو بن العلاء حتى قال فيه الفرزدق

"ما زلت أنزل أرضا ثم أتركها حتى أتيت إلى أرض بن عمار"

وناهيك فضلا وشرفا بمن يمدحه الشعراء

قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه "جامع البيان عن هذه القراءات المطعون فيها بعد ذكر إسكان (بارئكم ويأمركم) لأبي عمرو وحكاية إنكار سيبويه له **فقال أعني الداني**:

"والإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختاره وآخذ به..."

ثم قال:

"وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.اهـ

ونحن مع ذلك لا ننكر فضل سيبويه وعلمه وأمانته ولكن الحق يجعلنا نقول أن سيبويه بالنسبة لأبى عمرو كما قال أبوعمرو عن نفسه بالنسبة للسلف "كبقل تحت نخل طوال"

أبو عبد الله المقرى عفا الله عنه ومن والديه

منزلة ابن عامر الدمشقى

ونقل ابن الجزرى فى الغاية قال السخاوي قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي:

" إياك وطعن الطبري على ابن عامر" اهـ

وقال أيضا في النشر :

"وأما قول أبي طاهر بن أبي هاشم في ذلك فلا يلتفت إليه وما نقل عن ابن مجاهد في ذلك فغير صحيح بل قول ابن مجاهد وعمل قراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل على قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة الأصل لها وبجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول وإلى آخر وقت على قبولها وتلاوتها والصلاة بها وتلقينهامع شدة مؤاخذتهم في السير، ولا زال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقينا إلى قريب الخمسمائة"اهـ

ومن النشر قال أبو علي الأهوازي:

"كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ثقة فيما أتاه حافظاً لما رواه متقنا لما وعاه عارفاً فهما قيما فيما جاء به صادقاً فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين لا يتهم في دينه ولا يشك في يقينه ولا يرتاب في أمانته ولا يطعن عليه في روايته صحيح نقله فصيح قوله عالياً في قدره مصيباً في أمره مشهوراً في علمه مرجوعاً إلى فهمه ولم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر، ولي القضاء بدمشق بعد بلال بن أبي الدرداء وكان إمام الجامع بدمشق وهو الذي كان ناظراً على عمارته حتى فرغ"اهـ

منزلة الكسائي

وهو من أعلام النحو ومن مؤسسيه ومع ذلك صاحب قراءة وكان لا يشق له غبار في علوم اللغة فلو كان على قراءة حمزة مغمز لأخذه هو عليه بالأحرى قال الفراء :

"ناظرت الكسائي يوما وزدت فكأني كنت طائرا أشرب من بحر"[٢]

قال الشافعي ت٢٠٤هـ رضي الله عنه من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي وقال أبوبكر بن الأنباري اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب[٣]

وفى إنباه الرواة

روى عن الكسائي قائلا:"وقد قيل:إنه دخل الكوفة، فجاء إلى مسجد السّبيع- وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه- فتقدّم الكسائىّ مع أذان الفجر؛ فجلس وهو ملتفّ بكساء من البرّكان الأسود، فلما صلّى حمزة قال: من تقدّم فى الوقت يقرأ؟ قيل له: الكسائىّ أوّل من تقدّم- يعنون صاحب الكساء- فرمقه القوم بأبصارهم، وقالوا: إن كان حائكا فسيقرأ «سورة يوسف»، وإن كان ملاّحا فسيقرأ «سورة طه»، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصّة الذئب، قرأ: (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) بغير همز، فقال له حمزة الزيّات: [الذّئب] بالهمز، فقال له الكسائىّ: وكذلك أهمز الحوت (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) قال: لا. قال: فلم همزت «الذّئب» ولم تهمز «الحوت» وهذا (فَأَكَلَهُ

٢معرفة القراء
٣معرفة القراء

الدِّئْبُ)وهذا (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاّد الأحول - وكان أجمل غلمانه- فتقدّم إليه فى جماعة من أهل المجلس فناظروه، فلم يصنعوا شيئا. فقالوا: أفدنا- رحمك الله! فقال لهم الكسائىّ: تفهّموا عن الحائك؛ تقول إذا نسبت الرجل إلى الدّئب:قد استذأب الرجل، ولو قلت: قد استذاب- بغير همز- لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: قد استذاب الرجل إذا استذاب شحمه (بغير همز)، فإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أى كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيرا، ولا يجوز فيه الهمز. فلهذه العلة همز الذئب، ولم يهمز الحوت. وفيه معنى آخر: لا يسقط الهمز من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم:

أيها الذئب وابنه وأبوه ... أنتَ عندى من أذؤب ضاريات

قيل: فسمّى الكسائىّ من ذلك اليوم."

واجتهادا منى أقول

أنه لم نجد معترضا على شئ من هذا الباب إلا وهو غير عربى الأصل والأصول كالطبرى والفارسى وسيبويه والزمخشرى وغيرهم وهذا مع جلالة قدرهم ورسوخ علمهم بالنسبة لنا ونحن أقل قدرا من أن نغسل أقدامهم ولكنى أتكلم عنهم بالنسبة لسلفنا ،نعم قد نجد من يرد عليهم من غير العرب أيضا ولكننا نتكلم عمن يثير الشبهة والاعتراض

فيمكن إرجاع سبب ظهور هذا العلم إلى نقطتين وهما:

- **تأويل مواليه**
- **وطعن مناوئيه**

فما كان من حراس زمار الدين أعنى من التابعين إلا أن عكفوا على كتاب الله عز وجل يؤصلون كل لفظ له ويصلونه بأساسه من لغته وينسبونه لقبيلته التى كانت تنطق به

وزمرة أخرى يؤصلون معانيه ويبينون انسجامه مع ما قبله وما بعده من ألفاظه المتينة ومعانيه الرصينة وقوة بلاغته بما كان العرب يفعلونه فى كلامهم

وزمرة أخرى تؤصل رسمه وتعلل طريقته وشكله والحكمة هنا فى زيادة واو وهنا فى حذف لامه وهنا فى مده وهكذا.....

وما زال العطاء ساريا حتى بعد عصور التدوين فظهر من أهل العلم الصادقين من يؤصل انسجام سوره و آياته بعضها جوار بعض بما يسمى علم تناسب الآيات والسور بل وكلماته بعضها جوار بعض بل وحروفه بعضها جوار بعض

وهناك من أصَّل أصواته كالإدغام والإمالة والتسهيل والإبدال والإشمام والهمزات

وكان هذا على أيدى الأشاوس العظام من التابعين الكرام ومن تبعهم ليومنا هذا

تسمية هذا العلم

وأسموا هذا العلم بعلم الاحتجاج أو العلل أو الحجة أو وجوه القراءات أو تحت اسم معانى القرآن او إعراب القرآن

وانقسم في جمعه وتأيف اهل العلم على قسمين :

فطائفة أفردوا له المصنفات ، وأخرى زينت به تآليفهم في القراءات وأخيرا...أسموه أيضاعلم التوجيه.

وكل اسم من هذه الاسماء له معناه اللغوى المختص به بل عدة معانى واختص هذا المعنى للعلم الذى بين أيدينا .

سبب كثرة مسمياته

والسر فى كثرة أسمائه تكمن فى أن عادة العرب فيما عظم خطره واشتد خطبه أن تكثر أسمائه وصفاته وفى هذا دلالة واضحة على خطورة هذا العلم وعلو مكانته فإن هذا العلم هو خط الدفاع الأول عن القرآن وسومه وتفسيره ومعانيه وغرائبه وفواصله وإعجازه وعلوم القرآن التى لا حصر لها بالمرة

ومثله في كثرة التسمية تسمية يوم القيامة التى لا حصر لها وتكلم بنحو العلة التى قلناها القرطبى رحمه الله فى التذكرة والله أعلم

تعريفه لغة واصطلاحا

تعريفه لغة

- فلكل كلمة فى القرآن عموما والقراءات خصوصا دليل وبرهان من العربية وهذا معنى "حجة القراءات" لأن معنى حجة البرهان
- واستدلال عليه منها وهذا معنى"احتجاج القراءات" لأن معنى الاحتجاج طلب الدليل
- وحقيقة له فيها وهذا مقصود "معانى القراءات" لأن معنى الشئ هو حقيقته
- وسبب لكونه هكذا وهذا معنى" علل القراءات "لأن علة الشئ هى سببه
- ومصدرله فيها وهذا يعنى"وجوه القراءات"لأن وجه الشئ مبدئه ومقصده وجمعه دال على تعدد وجوهه في العربية وسعة أصوله
- ومورد له يرده ومقصد يقصده فى العربية وهذا يعنى"توجيه القراءات"لأن التوجيه يعنى الاستقبال والتصويب لجهة معينة

تعريف اصطلاحا

ومن جملة الأسماء هذه نكون قد عرفنا معنى التوجيه اصطلاحا وفى أقصر عبارة موجزة من غير إخلال يكون تعريفه

وهو **"عزو القراءة لغة "**

أما حكمه

ففرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين وإلا أثم الجميع ولابد أن يتجدد فى الأمة من ينهض بحمله ليرد على مستجدات الغرب والمستشرقين من شبهات على كلام رب العالمين فإذا تحققت الكفاية أصبح مستحبا على باقى المسلمين ويندرج تحت طائلة شرف دراسة العلم خصوصا بل هو من أخص العلوم شرفا لأنه يتعلق بأشرف كتاب على الأرض

أهمية هذا العلم

اعلم رحمك الله أن هذا العلم بمثابة حرس الحدود وحائط السدود وكتيبة الدفاع الأولى عن القرآن وعلومه، فبه نذود عن حياض الدين عموما والقرآن خصوصا ونلجم كل صنديد عربيد الحجة فيما يدعى ويزعم ويلفق ويكذب على كتاب الله تعالى وما أكثرهم اليوم مستغلين بذلك جهل المسلمين، أو بعد ما حاربوهم بالجهل وملأوا رؤوسهم باللهو والوهم من منكرات وأفلام وقصص حب بدأوا بعرض شبههم ليقع الناس فى حبالهم ،فما أخسها من عقول وما أضعفها من شُبَه، ولكن ملة مهانة وأتباع أذلة فهل من مشمر لها يذب عن حماها أعداءها

فمن قائل عيسى بن الله فى كتابكم ألم يقل ربكم"بكلمة منه"

ومن قائل جفى رسولكم وعنفه الله بقوله"عبس وتولى"

ومن قائل فى كتابكم لحن وتدعون أنه عربي بقوله "من المشركين ورسوله"التوبة بالرفع"والصابئون"المائدة والأول معطوف على مجرور والثانى على منصوب و"المقيمين الصلاة"معطوف على مرفوع

وآخر يقول دينكم دين الدم والقتل ويذكر آيات القتال بعيدا عن سببها ومضمونها

وآخر يفسر "استوى"طه بـ"استولى"نكرانالاستوائه سبحانه

وآخر ينكر رؤيته بقوله"ناظرة"القيامة يعنى منتظرة

فيا ليت شعرى أين الذين يذبون عن حياض الدين بل أين الذين يتحسسون الصراط المستقيم ،أين المسلمون من قوله"إنما يخشى الله من عباده العلماء" فاطر، وقوله "قل هل يستوى الذين يعلمون من الذين لا يعلمون"الزمر

متى يكون الفرض الكفائى عينيا

اعلم رحمك الله أن الفرض الكفائى يتحول للعيني فى ثلاث أحوال قد استوجبناها كلها في هذا العلم وهى:

أ)عدم وجود البديل فى القيام به مع الحاجة وتحقق المفسدة ولو مآلا فلو أننى حصلت على الدرجة الماهرة فى الطب واحتاج الناس لى ولم يوجد البديل حتى تطرأ المفسدة ويعطب الخلق تعين علي أن أعمل وأعالج الناس

ب)شهوده دون غيرك وتتحقق المفسدة بالفوت حالا فلو كنت طبيبا وغيرك الأطباء كثير ولكنى عاينت المريض ولو تركته زاد المرض أو زاد به العطب تعين علي علاجه ولا يحل الانتظار

ج)عدم بلوغ الكفاية فلو كان المصر فيه مرضى كثير وفيهم ألف طبيب ولم يكتفوا إلا بهم جميعا فلزم ووجب على الجميع النزول للعلاج لعدم

الاكتفاء إلا بهذا العدد ولا يتواكل منهم ويتملص واحد بحجة أن الباقى تسعمائة وتسعة وتسعون وهم كثير لأن الكفاية لا تتحقق إلا بالألف

وأنت كما ترى حال أرض الإسلام

إما بقعة عم فيها الجهل واستوى ،وفرخ العدو وثوى، ولأصول الدين والشريعة قد لوى ،وليس فيها مستعمر محتل ولكن امتدت أذرعه بعد أن يئس من دخوله بجرمه ،فسلط علينا أتباعه من كل زنديق منافق مظهر للإسلام ومبطن للكفريقول بما يشاء تحت مظلة العمامة ،إنه من الذين يحملون العلم والإسلام ،ولكنه الموت الناقع والسم الزعاف على الإسلام والمسلمين

أو مبشر بدعوى الملكوت الذى هو أول المحرومين منه إن لم يرجع

أومستشرق جاسوس أتى بلادنا لوضع الخطط المحكمة والشبهات المظلمة تحت دعوى العلم وما هو إلا نشر السموم

فهل بلغنا الكفاية فى الرد والدفاع عن الإسلام عموما والقرآن خصوصا ؟

*فنحن مشغولون بالشهوات ودرجات الدنيا وجمع المال وتركنا العلم الذى هو السلاح الفاتك لكل هذه الشبهات فتعين علينا الصد والرد لهذه الهجمات وإلا فمن غيرنا وقد ظهرت المفسدة وأصبح الإلحاد والطعن فى القرآن والسنة عيانا على الشاشات وهذا هو الحال الأول

*بل منا من تلبس معاشه أو عمله او مكانه أو موطنه بأصحاب هذه الشبهات من زملاء عمل أوجيران أصيبوا بهذه السهام الدنيئة بل وفى المقتل أعنى الإيمان فأصبحوا زنادقة وهم لا يدرون كحامل المرض وهو عنه غافل ولم يتحرك له ساكن مع أنه تعين عليه وهذا من الحال الثانى

*ومنا من اشتغل وأخلص لينهض بهذه الأمة ويذب عن حماها وحدودها ولكنه فى انتظار المدد والعون لأنه لا يستطيع أن يسد وحده فأين هذا المدد وهذا هو الحال الثالث

وإلا فكل الأمة مدانة أمام الله عز وجل يوم الحساب قال تعالى:

"يوم يجمع الله الرسل فيقولوا ماذا أجبتم ....." المائدة وقوله "وقفوهم إنهم مسئولون"الصافات وقوله "وسوف تسئلون"الزخرف

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

تاريخ التأليف فى التوجيه:

- ارتقى التأليف في الاحتجاج للقراءات من نظرات متناثرة رويت لنا عن بعض الصحابة وأئمة القراء إلى وضع مؤلفات استوعبت توجيه القراءات أجمع.

أما الصحابة

فممن روي عنهم هذا الضرب من النظر والتوجيه ابن عباس رضى الله عنه (ت ٦٨ هـ) وهو من دعا له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقال "اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال فيه على رضى الله عنه "وكأنه ينظر إلى الغيب من حجاب رقيق"

قال ابن زنجلة:

«قرأ حمزة والكسائي: (قال اعلم أن الله على كل شيء قدير) جزما على الأمر من الله، وحجتهما قراءة ابن مسعود: (قال اعلم أن الله على كل شيء قدير،وكان ابن عباس يقرؤها أيضا: (قال اعلم) ويقول: أهو خير أم إبراهيم إذ قيل له: وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة ٢٦٠]؟» اهـ

قال أبو منصور:

"عن ابن عباس أنه قرأ: (كتابه) من قوله تعالى "وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله"، وقيل له في قراءته فقال: (كتاب) أكثر من (كتب)،: ذهب به إلى الجنس، كما يقال: كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس،ومن قرأ: (وكتبه) فهو مثل: حمار وحمر، وغلاف وغلف"اهـ

قال ابن خالويه:

«وبلغ ابن عباس وابن مسعود أن عليا قرأ: (لقد علمتُ) فقالا: (لقد علمتَ) بالفتح، لأن الله تعالى قال:وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً [النمل ١٤].»اهـ

أما من بعدهم من التابعين والأئمة

فمن روي عنه هذا الضرب من النظر: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ومنه قوله تعالى: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ [آل عمران ١٥]،

قال ابن زنجلة:

«ذكر أبو بكر بن مجاهد في كتابه عن أبي عبد الرحمن اليزيدي عن أبيه قال: لقيني الخليل بن أحمد في حياة أبي عمرو، قال لي: لم قرأ:آؤلقي الذّكر [القمر ٢٥] وآؤنزل [ص ٨]، ولم يقرأ: (آؤنبئكم)؟ قال: فلم أدر ما أقول له، فرحت إلى أبي عمرو فذكرت له ما قال الخليل، فقال: فإذا لقيته فأخبره أن هذا من (نبّأت) وليس من (أنبأت)، قال: فلقيته فأخبرته بقول أبي عمرو فسكت.»اهـ

قال ابن خالويه:

« مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا [نوح ٢٥]، قرأ أبو عمرو:(خطاياهم)، وقرأ الباقون: (خطيئاتهم)فأما قراءة أبي عمرو فإن ابن مجاهد حدثني عن ابن عياش عن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: قال أبو عمرو: إن قوما كفروا ألف سنة: كانت لهم خطيئات؟ لا بل خطايا!يذهب أبو عمرو إلى أن التاء والألف للجمع القليل، وهو جمع السلامة في المؤنث، و (خطايا) جمع التكسير، وهو الكثير »اهـ

قال ابن زنجلة:

"قوله تعالى: فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ [المرسلات ٢٣]، قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر: (فقدّرنا) بالتشديد، وقرأ الباقون: (فقدرنا) بالتخفيف وقيل للكسائي: لم اخترت التشديد واسم الفاعل ليس مبنيا على هذا الفعل؟ فقال: هذا بمنزلة قوله: فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ [الطارق ١٧]، ثم قال:أَمْهِلْهُمْ ولم يقل: (مهّلهم)، فجمع بين اللغتين. ومثله: فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً [المائدة ١١٥] ولم يقل: (تعذيبا)."

أما من بعد التابعين

وقد بدأ الأئمة والعلماء في التأليف واستقلالية هذاالعلم النبيل بعد أن كان في عبارات محدودة أصبح في كتب مستقلة ومؤلفات واضحة

من كتب الاحتجاج:

- تتبع بعض الباحثين ما ألف في الاحتجاج للقراءات، فأحصوا بضعة وسبعين كتابا ، على ندرة المطبوع منها، منها ما ألف فى الإعراب أو التفسير أو البلاغة والمعانى أو الأصوات أو تناسب الآيات والسور والكلمات والحروف وأشهرها:

١ - كتاب في (وجوه القراءات) لهارون بن موسى الأعور (ت ١٧٠ هـ)، قال أبو حاتم السجستاني:«كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها، وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده: هارون بن موسى الأعور.»

٢ - (وجوه القراءات) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

٣ - (احتجاج القرّاء) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥ هـ)

٤ - (الفصل بين القراءة) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ).

٥ - (احتجاج القرّاء في القراءة) لأبي بكر بن السرّاج (ت ٣١٦ هـ).

٦ - (الاحتجاج للقرّاء) لابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ).

٧ - (معاني القراءات) لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ).

٨ - (إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ).

٩ - (الحجة في القراءات السبع) له أيضا.

١٠ - (الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ).

١١ - (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)لابن جني(ت ٣٩٢ هـ).

١٢ - (حجة القراءات) لابن زنجلة (ت نحو ٤٠٣ هـ).

١٣ - (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها)لمكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧ هـ).

١٤ - (شرح الهداية)لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو٤٤٠ هـ).

١٥ -(الموضح لمذاهب القراءواختلافهم في الفتح والإمالة)لأبي عمروالداني(ت٤٤٤ هـ).

١٦ - (الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء، والحجة لكل واحد منهما) لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ النّمري (ت ٤٦٣ هـ).

١٧ - (احتجاج القرّاء في القراءة) للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ).

١٨ - (تعليل القراءات العشر) لمحمد بن سليمان المالقي (ت ٥٢٥ هـ).

١٩ - (الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي)لأبي حسن شريح بن محمد الرّعيني (ت ٥٣٩ هـ).

٢٠ - (مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني) لأبي العلاء الكرماني (ت بعد ٥٦٣ هـ).

٢١ - (الموضح في وجوه القراءات وعللها) لنصر بن علي الشيرازي، المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥ هـ).و (المنتقى في شواذ القراء) له أيضا.

٢٢ - (إعراب القراءات الشواذ) لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ).

-على أن كتبا أخرى كان لها حظ في الاحتجاج للقراءات، دون أن تكون أفردت له، منها بعض كتب العربية، وكتب معاني القرآن وإعرابه، وكتب التفسير، وكتب القراءات.

فمن كتب النحو: الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، والأصول في النحو لأبي بكر بن السراج «٤» (ت ٣١٦ هـ)، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ).

ومن كتب معاني القرآن وإعرابه: معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج (ت ٣١١ هـ)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (ت ٦١٦ هـ).

ومن كتب التفسير: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، والكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ).

ومن كتب القراءات:(قراءة ابن عامر بالعلل) لهارون بن موسى الأخفش (ت ٢٩٢ هـ) ،

(القراءات) لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ)، جمع فيه قراءات خمسة وعشرين قارئا مع الأئمة السبعة بعللها،كتاب السبعة في القراءات

لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، وإتحاف فضلاء البشر بقراءات القراء الأربعة عشر لأحمد بن محمد البنّا (ت ١١١٧ هـ).

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

مادة جديدة لعلم التوجيه

ومع وجود المفردات فى هذا العلم فإنه لم يختم بعد فإن بابه لم يزل مفتوحا فى فهم القرآن فهو البحر الذى لا شواطئ له ولا قاع ولا منتهى لمعارفه ،إننا والله على ضحالة فهمنا وقلة معرفتنا ما ختمناه مرة قراءة إلا وعاد بكرا فكأننا نقرأ كتابا آخر

فعلم التفسير باب للتوجيه وفهم المعانى باب واسع يفتح الله به على من يشاء من عباده

وعلوم اللسان من نحو وصرف وأدب وبلاغة من معانى وبديع وبيان باب من أبواب التوجيه

فالمبرد ت ٢٨٥ هـ يوجه توجيها بلاغيا قال فى الكامل:

" وقد اعترض معترض من الجهالة الملحدين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها! وهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما، أن شجراً يقال له الأستن، منكر الصورة يقال لثمره: رؤوس الشياطين، وهو الذي ذكره النابغة في قوله:"تحيد عن أستن سود أسافله"وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم،والقول الآخر - وهو الذي يسبق إلى القلب - أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس."اهـ

وعندما سئل حفص لزيادته ياء صله فى قوله تعالى "ويخلد فيه مهانا " دون غيرها من قاعدتها قال:

"لاستغراقهم العذاب" وهذا من **التوجيه الصوتى الأدائي**

وابن جنى ت ٣٩٢هـ رحمه الله يوجه توجيها صوتيا أدائيا أيضا يقول في احتجاجه لقراءة أبي عمرو: ما لِيَ لا أرَى الْهُدْهُدَ [النمل ٢٠] بإسكان الياء، وَما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي [يس ٢٢] بتحريكها- نسب إلى الإسكان معنى جواز الوقف، وإلى التحريك معنى وجوب الوصل. قال:

«ومما يتلقّاه عامة من يسأل عنه بأنه أخذ باللغتين، وسعة باختلاف اللفظين: قراءة أبي عمرو: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أرَى الْهُدْهُدَ بسكون الياء من (لي)، وقراءته أيضا:وَما لِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي بتحريك الياء. وعلة ذلك ليس الجمع بين اللغتين كما يفتي به جميع من تسأله عنه، لكنه لمّا جاز الوقف على قوله تعالى: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ، وأن يستأنف فيقول: لا أرَى الْهُدْهُدَ- سكّن الياء من (لي)، أمارة لجواز الوقوف عليها،ولمّا لم يحسن الابتداء بقوله: لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي، حرّك الياء من (لي) قبلها، أمارة لإدراج الكلام ووصله، وذاك أن الحركة من أعراض الوصل، والسكون من أعراض الوقف،فهل يحسن مع وجود هذا الفرق الواضح الكريم، أن يخلد دونه إلى التعذّر بما يخلد إليه الموهون المضيم ..... وقال أن ما جاء على (فعلان) من الصفات والمصادر فيه معنى الحركة والخفة والإسراع، قال: «أكثر ما جاء فعلان في الأوصاف والمصادروهذا من **التوجيه المعنوي.**

وأبو الفتح ضياء الدين بن الأثيرالكاتب ت ٦٣٧هـ في كتابه"المثل السائر" يوجه **توجيها أدبيا ومعنويا** فيرد على ملحد عندما ذكر بشاعة لفظ ضيزى فى القرآن يقول:

"وحضر عندي في بعض الأيام رجل متفلسف فجرى ذكر القرآن الكريم فأخذت في وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأي فصاحة هناك وهو يقول (تلك إذا قسمة ضيزى) فهل في لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك مثل ابن سينا والفارابي ولا من أضلهم مثل أرسطاليس وأفلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن وهي لفظة ضيزى فإنها في موضعها لا يسد غيرها مسدها ألا ترى أن السورة كلها التي هي سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) وكذلك إلى آخر السورة فلما ذكر الأصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار قال(ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها في مكانها وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا إن غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة لأنها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى إلا أنا إذا نظمنا الكلام قلنا ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحاما ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون

تشـهيا ويقولـون مـا يقولونـه جهـلا وإذا حوققـوا عليـه ظهـر عجـزهم وقصورهم"اهـ

فوائد على الحادثة

وهناك رد آخر وهو أن الله تعالى يتكلم عن بشاعة أفعالهم وشناعة شركهم وفظاعة أقوالهم في أن الملائكة بنات الله فأتى بلفظ شنيع وتعبير فظيع يدل على ذلك إذ من البلاغة والفصاحة عند العرب موافقة المبنى لحقيقة المعنى وهذا لا يقدر عليه إلا الأشاوس العظام من أرباب اللسان فأعجزهم نظم القرآن بأنه رد عليهم بمبدأاهم اللغوى لذا لم يرو عنهم أنهم اعترضوا عليه بل يروى وإن ضعف أنهم سجدوا بعد انتهاء السورة من تلاوتها عليهم في مجتمع قريش وإنما أتى الاعتراض من حديثى العهد بالإسلام من المتأخرين كما كان في زمن ابن الأثير

ومنه من سورة النساء"والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار...."ما قدم الله جل جلاله السين فى قوله فى وعده للمؤمنين فى حين قبلها قدم سوف في وعيده للكافرين قال"إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصيهم نارا....."

قلت وفي السين تهوين على المؤمنين وحشة الطريق وقلة الرفيق وبلايا الدنيا وأهوال الآخرة لأنه تفيد المستقبل القريب،وفى سوف إمهال للكافرين واستدراج للمعاندين وعدم قطع الأمل فى التوبة لأن سوف للمستقبل البعيد والله أعلم

وهذا شيخنا المعاصر رحمه الله محمد متولى الشعراوى وله تفسير عظيم للقرآن وهو من أعظم كتب الاحتجاج الإشارية والبلاغية والمعنوية

وقد ألف الدكتور أحمد سعد محمد كتابا جيدا في التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية هكذا أسماه وهو معاصر

ومما سبق وما سيأتى نشير إلى ثلاث نقاط أخيرة وهى:

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

موضوع وأنواع وأصول الاحتجاج لعلم التوجيه

أما موضوع علم التوجيه

ونعنى به المادة التى يتخذها العلماء غرضا لتوجيهها فى القرآن ومما سبق يتبين أنها :

١) **القراءات المتواترة** ومصادرها الموثوق منها قديما وحديثا وكان أكثر ما يعتمد عليه فى التوجيه قديما هو كتاب السبعة لابن مجاهد أما حديثا فلم يبق لنا إلا حرز الأمانى المعروف بالشاطبية والنشر فى القراءات العشر

٢) **القراءات الشاذة** فقد قام بعض أهل العلم بتوجيه القراءات الشاذة لما لها من دور فى التفسير والاستدلال فى كافة العلوم لأن شذوذها لا يعنى ضعفها كما فى مصطلح علوم الحديث فالشذوذ فى القراءات مقارنة لها بالمتواترة فكانت كالقمر الذى يطفئ نوره الشمس وإلا فهى من أعلى وأثبت الأحاديث المسندة بل وأعلى وأضبط سندا مما هو فى أصح كتب السنة وقد سبق ذكر بعض الكتب التى أولت القراءات الشاذة الاهتمام بالحجج والتعليل

٣)**رسم المصحف** ويعتنى بتوجيه ظواهر الرسم نحو ما ألفه خصوصا بتوجيه ظواهر الرسم ابن البناء المراكشى ت ٧٢١ هـ فى كتابه "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" ومن المعاصرين كتاب "إعجاز رسم الكلمة فى القرآن الكريم" و"الجلال والجمال فى رسم الكلمة" للدكتور سامح القلينى وما أعظمه من كتاب وله تسجيلات فى ذلك جميلة جدا وكتاب "إعجاز رسم الكلمة" للشيخ محمد شملول معاصر أيضا،وقد ظهر

من توجيه المرسوم فى كتب التوجيه اللغوي وعلوم القرآن أيضا عموما جملة من الأمثلة، ومن مثاله :

لمَ كتبت كل جنة فى القرآن بالهاء ماعدا "جنت نعيم" فى الواقعة كتبت بالتاء المفتوحة ؟

وما المقصود من كتابة كلمة "امرات" فى بعض المواضع بتاء مفتوحة دون غيرها نحو "امرأت فرعون" و"امرأت العزيز" و"امرأت عمران" ؟ ولمَ حذفت الواو من"يمح الله الباطل" الشورى والياء من"يأت" هود و"يدع" القمر وزيدت فى نحو "نبأى المرسلين"الأنعام و"بايید" الذاريات؟ ولمَ كتبت نحو "جاءو"النمل بلا ألف؟وهكذا.....

٤)هيئة المصحف نحو ترتيب الفواصل والآى والسور ووضع الكلمات قال فى الإتقان

"أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته "تناسق الدرر في تناسب السور"،وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"اهـ.

ومن أمثلة هذا نحو ترتيب المصحف، فما السر فى وجود البقرة بعد الفاتحة ؟والمؤمنون قبل النور ؟

ومن أمثلة الكلمات ،لمَ يقدم المنافقين على الكافرين عند ذكر عذابهم كما فى النساء ويقدم الكافرين على المؤمنين عند الأمر بعدم طاعتهم كما فى الأحزاب ؟

ومنه اختيار ذيل الآية بعناية خفية أدركها الأعرابى عندما قال القارئ لحنا آخر آية حد السرقة والله غفور رحيم وهو عزيز حكيم وآخر قوله "إن تعذبهم ....." فإنك أنت العزيز الحكيم وتكرار قوله العزيز الرحيم فى سورة الشعراء وهى مكية وفبأى آلاء ربكما تكذبان ثلاثا وثلاثين مرة فى سورتها ؟

ولم وضع سوف مع توعد الكافرين بالنار فى قوله تعالى من النساء"سوف نصليهم نار..."

ولما تكلم بعدها عن المؤمنين وعدهم بالجنة قال "سندخلهم..." وضع السين وكلاهما للمستقبل ولابد من فرق؟

كل هذا لا يحل مسألته ويكشف شفرته إلا علم التوجيه

٥) القرآن الكريم

ونعنى بذلك ما دون كلمات القراءات لأن كتب العلل تختلف فمنها ما يهتم بنوع واحد فقط فهذا بالقراءات السبع أو العشر فقط وهذا بكل كلمات القرآن الكريم مثل كتاب العكبرى فإنه معرب وموجه لكل الكلمات ومثال الأول حجة الفارسى موجه لكلمات القراءات المتواترة فقط والمحتسب لابن جنى موجه للكلمات الشاذة فقط

٦) الأداء القرآنى

وهو خاص بتوجيه الأصوات الأدائية بالقرآن نحو البدل والتسهيل والإدغام والحركات والسكنات نحو ما ذكرنا آنفا عن ابن جنى فى المحتسب

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

وأما أنواعه

والمقصود بأنواعه عدد المجالات التى يتناولها علم التوجيه أو عدد الوجهات التى يتناولها العلم سواء كان فى القراءات المتواترة والشاذة والتناسب أو كلمات القرآن أو الرسم والأداء

فمما سبق تبين لنا أن لعلم التوجيه أنواعا حسب كيفية التوجيه

١) فمنها التوجيه النحوى وهو إعراب الكلمة وبيان وجه نصبها ورفعها وجرهاوجزمها من لغة العرب فنقول فى قول تعالى مثلا"فتلقى آدم من ربه كلمات ...." آدم مرفوع على الفاعلية فى قراءة غير ابن كثير ومنصوبة على المفعولية فى قراءته

٢)ومنها التوجيه المكانى أو التأصيلي وهو بيان موقع القراءة من قبائل العرب وبطونها وقبائلها ،فنقول الهمز لغة قيس مثلا وتركه لغة قريش

٣)ومنهاالتوجيه البلاغى كما سبق فى رواية المبرد

٤)ومنها التوجيه الأدبى والمعنوى كما فى رواية ابن الأثير

٥)ومنها التوجيه الرسمى نحو ما ذكرنا من الأمثلة وكتاب ابن البنا المراكشى

٦) ومنها التوجيه الهيئى كما فى تناسب السور والآى وكتاب برهان الدين البقاعى

٧)ومنها التوجيه الأدائى كما ذكرنا عن حفص وابن جنى رحمة الله على الجميع

أما وسائل الاحتجاج

ونعنى بها أدلة التأصيل والعزو بمعنى الأدوات التى يوجه بها العالم من كتاب وسنة وغيره أو ما العلوم التى ينبغى توفرها في المحتج أو الموجه لموضوعات القرآن الكريم فقد يكون دليل التأصيل من :

١)**كلام الله جل جلاله المتواتر** يستدل ببعضه على بعض

وقد سبق ذكر أثرين عن الصحابة فى ذلك ومنه أيضا

قلل ابن خالويه: «وقوله تعالى: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الأُولى [طه ١٣٣]، قرأ أبو عمرو ونافع وحفص عن عاصم بالتاء لتأنيث البينة، وقرأ الباقون بالياء، لأن تأنيث البينة غير حقيقي، ولأنك قد حجزت بين البينة والفعل بحاجز،والاختيار التاء، لأن بعض القرآن يشهد لبعض، وكان جماعة من الصحابة والتابعين يحتجون لبعض القرآن على بعض، قال الله تعالى: جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ [البينة ٤] فهذا شاهد (أو لم تأتهم).»

وقال ابن أبي مريم: «فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها [الجاثية ٣٥] بفتح الياء وضم الراء قرأها حمزة والكسائي،والوجه أنه مضارع (خرجوا)، والكلمة من الخروج، أخبر الله تعالى أنهم لا يخرجون من النار، لأن الله تعالى لا يخرجهم منها، وحجته قوله تعالى:يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها [المائدة ٣٧]،وقرأ الباقون: (لا يخرجون) بضم الياء وفتح الراء،والوجه أن خروجهم لا يكون إلا بإخراج الله تعالى إياهم، فلفظ الإخراج أولى، فإنهم لو تركوا لخرجوا،ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [الجاثية ٣٥] فبنى الفعل فيما عطف عليه للمفعول به، فينبغي

أن يكون هذا أيضا كذلك ليتناسب الكلام،وحجة هذه القراءة قوله تعالى: رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها [المؤمنون ١٠٧].» اهـ

وفى البحر المحيط احتج ابن عباس ت٦٨هـ في "ننشرها"بالراء بقوله تعالى"ثم إذا شاء أنشره"

٢)**القراءات الشاذة** وأكثر ما احتج به من القراءات الشاذة قراءتا أبيّ بن كعب (ت ٢١ هـ) وعبد الله ابن مسعود (ت ٣٢ هـ) رضي الله عنهما.

نحو قول ابن خالويه:

«وقوله تعالى: وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد ٤٢]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (الكافر) موحدا ... وقرأ الباقون:(وسيعلم الكفار) على الجمع، وحجتهم قراءة عبد الله وأبي، لأن في حرف أبي: (وسيعلم الذين كفروا)، وفي حرف عبد الله (وسيعلم الكافرون).»

ونحو قول مكي:

«قوله: تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ [النمل ٨٢] قرأ الكوفيون (أن الناس) بفتح الهمزة، على تقدير: بأن الناس، وفي حرف أبي: (تنبئهم أن الناس)، فهذا لا يكون معه إلا فتح (أن)، وفي حرف ابن مسعود: (تكلمهم بأن الناس)، فهذا ظاهر في فتح (أن)،وقرأ الباقون بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: تكلمهم فتقول:إن الناس.»

ونحو قول ابن زنجلة:

«وقرأ الباقون أوننسها بضم النون وحجتهم في ذلك قراءة أبي وسعد بن أبي وقاص وقرأ أبي بن كعب أو نُنسِّها معناه ننسك نحن يا محمد وقرأ سعد أو نُنسَّها المعنى أو نُنسَّها أنت يا محمد وقراءتهما تدل على النسيان »

وقوله:

« وقرأ الباقون ولا تسأل عن أصحاب الجحيم برفع التاءواللام وحجتهم أن في قراءة ابن مسعود ولن تسأل»

وقوله:

«قرأ ابن كثير وأبو بكر: إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقاتِ [الحديد ١٨]، بتخفيف الصاد فيهما، أي المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا الله ورسوله،وقرأ الباقون: (إن المصّدّقين والمصّدّقات) بتشديد الصاد فيهما، أرادوا:المتصدقين والمتصدقات، فأدغموا التاء في الصاد. وحجتهم أن في حرف أبي:(إن المتصدقين والمتصدقات) بتاء ظاهرة.»

٣) **رسم المصحف** قد يكون الرسم وسيلة للا حتجاج فى القراءة لأن له حكم الرفع لكتابته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد يحتج به لقراءة دون أخرى لموافقته لها

نحوما قاله **الأزهري** فى قوله تعالى: اللهُ لا إِلـهَ إِلاَّ هُوَ [البقرة ٢٥٥]، قرأ يعقوب: (هوه) بالهاء في الوقف، وكذلك: فنعمّا هيه [البقرة ٢٧١]، وكأنه هوه [النمل ٤٢]،:

«أما ما اختاره يعقوب من الوقف على هذه الحروف بالهاء فهو من كلام العرب الجيد، غير أني أختار المرور عليها، وألا يتعمد الوقوف عليها، لأن الهاءات لم تثبت في المصاحف، فأخاف أن تكون زيادة في التنزيل. وإن اضطر الواقف إلى الوقوف عليها،وقف بغيرهاء،اتباعا للقراءالذين قرءوا بالسّنة.»اهـ ويعنى بالسنة الرسم لأنه كتب بمرأى ومسمع من النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن أبي مريم:

«الله لا إله إلا هوه بالهاء في حال الوقف، قرأها يعقوب وحده ... إلا أن القراء يكرهون[٤] ذلك، لأن الهاء ليست في المصحف، وهو الإمام، فكرهوا مخالفته.»

ونحو قوله تعالى: أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ [النمل ٢٥]، قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس: (ألا يسجدوا) بتخفيف اللام، جعلوا (ألا) حرف استفتاح، و (يا) حرف نداء أو تنبيه، و (اسجدوا) فعل أمر".اهـ

قال أبو علي:

«ومما يؤكد قول من قال (ألاّ) مثقلة، أنها لو كانت مخففة ما كانت في (يسجدوا) ياء، لأنها (اسجدوا)، ففي ثبات الياء في (يسجدوا) في المصحف دلالة على التشديد، وأن المعنى: أن لا يسجدوا، فانتصب الفعل ب (أن)، وثبتت ياء المضارعة في الفعل.»

قال ابن زنجلة: «قرأ نافع: (لتربوا في أموال الناس) بضم التاء وسكون الواو. فالتاء هاهنا للمخاطبين والواو واو الجمع ... والمعنى: لتربوا أنتم، أي: تعطون العطية لتزدادوا بها أنتم، وحجته أنها كتبت في المصاحف بألف بعد الواو.»

٤)**كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم** - يعنى الحديث النبوي – فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عربى ومن أفصح العرب وهو خير

---

[٤] ليست الكراهة الشرعية بل وكل لفظ قاله الأئمة فى حق المتواتر من القراءات نحو اختيار قراءة دون قراءة وحب قراءة دون قراءة محمول على الاختيار النفسى وانه ليس من قراءة لسان قومه لما ورد "اقراوا كما علمتم" او ليس مشهورا فى زمانه ومن هنا كانوا يعبرون عن اختيارهم تارة بالكراهة او لا احب فتنبه لذلك رحمك الله وإلا من أنكر المتواتر أو أشهر عداوته له وقع فى الكفر عياذا بالله

من نطق بالضاد ومن قريش وهم أفصح بطون العرب فكان لغته وكلامه حجة يعزى إليها

قال ابن القيم : "كان أفصح الخلق وأعذبهم كلاماً وأسرعهم أداءا وأحلاهم منطقاً حتى كان كلامه يأخذ بالقلوب ويسبي الأرواح وقد شهد له بذا أعداؤه وقد جمعوا من كلامه المفرد الموجز البليغ البديع دواوين لا تكاد تحصى".

قال ابن زنجلة فى قوله تعالى:

«قرأ يعقوب في رواية رويس: (فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون) بالتاء فيهما ... وحجته أنها عن النبي صلى الله عليه وسلّم، عن أبي بن كعب قال:قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (أمرت أن أقرأ عليك)، قال: قلت: وقد سماني ربك؟قال: (نعم) قال: فقرأ عليّ- يعني النبي صلى الله عليه وسلّم-: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون) بالتاء ... "

و قال مكي فى قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً [الروم ٥٤]،:

«قوله: (ضعف) قرأه أبو بكر وحمزة بفتح الضاد، في ثلاثة مواضع في هذه السورة، وقد ذكر عن حفص أنه رواه عن عاصم، واختار الضم لرواية قويت عنده، وهو ما رواه ابن عمر قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم (من ضعف) يعني بالفتح، قال: فردّ عليّ النبي صلى الله عليه وسلّم (من ضعف) يعني بالضم، في الثلاثة .

وفي جمال القراء عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: {يَا يَحْيَى} فقيل له: يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال: هي لغة الأخوال بني سعد.

قال مكي:

«ووجه القراءة بالجمع في (تصريف الرياح) هو إتيانها من كل جانب، وذلك معنى يدل على اختلاف هبوبها، فهي رياح لا ريح ... وأيضا فإن هذه المواضع أكثرها لغير العذاب، وقد قال النبي عليه السلام حين رأى ريحا هبت:(اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) ، فعلم أن الريح بالتوحيد أكثر ما تقع في العذاب والعقوبات، وليست هذه المواضع في ذلك، واعلم أن الرياح بالجمع تأتي في الرحمة، فواجب من الحديث أن يقرأ بالجمع إذ ليست للعقوبات»

و قال ابن خالويه:

«وقرأ أبو عمرو ونافع في سائر الروايات وعاصم في رواية أبي بكر: (نعمّا هي) بكسر النون وإسكان العين،وزعم بعض النحويين أنه أردأ القراءات، لأنه قد جمع بين ساكنين: الميم والعين، وليس أحدهما حرف لين، والاختيار إسكان العين، لأن هذه اللفظة رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: (نعمّا بالمال الصالح) ، كذا تحفظ هذه اللفظة عن النبي، ومتى ما صح الشيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحل للنحوي ولا غيره أن يعترض عليه.»

قال أبو علي في قوله تعالى: بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ [آل عمران ١٢٥]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب: (مسوّمين) بكسر الواو، وقرأ الباقون:(مسوّمين) بفتحها:

«وذكر بعض شيوخنا أن الاختيار عنده الكسر، لما جاء في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: (سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت) ، فنسب الفعل إلى الملائكة.»

٥)**لغة العرب** وقد قال عمر رضى الله عنه "أيها الناس إذا استعجم عليكم شئ فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر عربى"

وأخرج أبو عبيد فى الفضائل بسنده عن ابن عباس قال: "كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها".

قال فى الاتقان

"قال أبو بكربن الأنباري قد جاء عن الصحابة والتابعين - كثيرا - الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة - لا علم لهم - على النحويين ذلك وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن وقالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث !قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا} ، وقال: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}

وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه،ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب،وقال أبو عبيد في فضائله: حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر،قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير.

قلت: قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك وأوعب ما رويناه عنه مسائل نافع بن الأزرق وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف

والطبراني في معجمه الكبير وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد:....

ثم شرع رحمه الله فى ذكر مطولة من الاحتجاج للقرآن من الشعر."اهـ

قلت ومن لغة العرب تعلم الأدب وعلوم اللسان نحو البلاغة من بيان وبديع ومعانى بل وتعلم معانى كلام العرب أقصد الكلمات المعجمية من أمهات المعاجم وتعابيرهم وجملهم بالاطلاع على كتب الأدب التى تناولت مجالسهم ومساجلاتهم وحواراتهم نحو "العقد الفريد" لابن عبد ربه و"الكامل" للمبرد وغيره لأن القرآن نزل بلسانهم وتراكبيهم وعلى ذلك نعرف المقصود من القرآن ويتوجه البيان

كقوله تعالى"حجرا محجورا"و يوم يكشف عن ساق"و"ألقيا في جهنم كل كفار عنيد" فهذه تعابير كانت تستعملها العرب تقصد بها معنى آخر غير الظاهر من ألفاظها

بل وينبغى على الموجه معرفة معانى الحروف نفسها وتأثر بعضها ببعض وقد ألف في ذلك قديما أحمد بن فارس في كتابه الجيد "مقاييس اللغة" وقبله إمام العربية في كتابه "العين" ومن المعاصرين في رسالة الدكتوراة الدكتور محمد جبل أستاذنا ومعلمنا

فكل كلمة في القرآن لها عدة أوجه عربية توجه عليها فقد تتوجه كظاهرة لغوية أو نحوية أو صرفية أو بلاغية أو أدبية وكل ذلك مصدره معرفة كلام العرب جملة وتفصيلا

فمثلا نجد في سورة الحجر وق رسمت "الأيكة" هكذا وفى الشعراء وص هكذا"ليكة" ومعرفة كلام العرب هو حل للغز وذلك لأن الآخرين فيهما قراءة أخرى فكتبت على الأقل حروفا لتقدير الأخرى والعرب كانت تقدر

الحروف الزائدة أما الأولان فليس فيهما إلا الوجه المكتوب فرسمت به تثبيتا له

وكذا كتابة "يمح ويدع ويات"محذوفات اللام لأن العرب كانت تحذف اللام إن كانت حرف علة وهو في كلامها فمن كان يدرينا ذلك إلا بمعرفة كلامهم

بل ويمكن القول أن حذفها يفيد السرعة في الطاعة ومعنى الفعل لأن وجازة المبنى دلت على وجازة المعنى وسرعته

والزيادة في نحو" نبأى وءاناءى وبأييد"دلت على زيادة المعنى من الامتداد والكثرة والقدرة المطلقة ومثل هذا لا نعرفه إلا بمعرفة معانى الحروف

أو التغيير نحو"الحيوة والزكوة والصلوة" دل على الأصل لأنه هكذا كانت تكتب العرب

"ولأوضعوا ولاإلى ولأاوصلبنكم والعلموٗ ونبوٗ وغيره" كل كلمة لها أصل عند العرب في كتاباتها أومعانيها يعرف من أدبها وتصاريف كلامها فلابد من معرفة كلام العرب على نحو العلوم التى ذكرنا

وعند سيبويه ت١٨٠هـ في الكتاب كثيرا ما يحتج باللغة للقراءات فقال كان اهل المدينة يخففون وينصبون يقصد قوله تعالى"وإن كلا لما.."هود كما قالوا"كأن ثدييه حقان"

٦)**كلام الصحابة رضى الله عنهم** وهم تلاميذ أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم وقد باشروه وكلموه فهم ادرى بقصده وكلامه في كتاب الله تعالى ، ومن أفصح قبائل العرب أو من جاورها غير أنهم عرب خلص فكلامهم حجة فى اللغة

قال الأزهري فى قوله تعالى: تُساقِطْ عَلَيْكِ [مريم ٢٥]،: «قوّى قراءة يعقوب ما حدثنا محمد بن إسحاق عن الصغاني عن أبي عبيد عن يزيد عن هارون عن جرير بن حازم عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يقرأ: (يسّاقط). وروي عن مسروق مثله.»

قال ابن خالويه: «قرأ عاصم وحمزة: (لا يرى إلا مساكنهم) بالياء على ما لم يسم فاعله، و (مساكنهم) بالرفع على تقدير: لا يرى شيء إلا مساكنهم. وقرأ الباقون:(لا ترى) بالتاء على خطاب النبي عليه السلام، (إلا مساكنهم) بالنصب مفعول بها، أي: قد هلكوا فلا يحسّ لهم أثر خلا المنازل والمساكن. واحتج أصحاب هذه القراءة بما حدثني ابن مجاهد عن السّمّري عن الفراء قال: حدثني محمد بن الفضل الخراساني عن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقرأ: (لا ترى إلا مساكنهم).»

قال مكي في قوله تعالى: وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ [البقرة ٤٨]، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: (ولا تقبل) بالتاء، وقرأ الباقون: (ولا يقبل) بالياء: «وذكر أبو عبيد عن ابن مسعود أنه قال: ذكّروا القرآن، وإذا اختلفتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء.»

٧) أسباب النزول

نحو قوله تعالى: وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ [البقرة ١١٩]، قرأ نافع ويعقوب: (ولا تسأل) جزما على النهي، وقرأ الباقون: (ولا تسأل) رفعا على النفي.

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن رفع أنه أخبر بذلك، وجعل (لا) نافية بمعنى (ليس)، ودليله قراءة عبد الله وأبيّ: (ولن تسأل). والحجة لمن جزم: أنه جعله نهيا، ودليله ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: ليت

شعري ما فعل أبواي!فأنزل الله تعالى: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)، فإنا لا نؤاخذك بهم، والزم دينك »

ونحو قوله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى [البقرة ١٢٥]، قرأ نافع وابن عامر: (واتخذوا) بفتح الخاء على المضي، وقرأ الباقون: (واتخذوا) بكسرها على الأمر.

قال المهدوي: «من قرأ بكسر الخاء فهو على الأمر، ويقويه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أتى على المقام قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله تعالى: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى...ومن قرأ: (واتخذوا) بفتح الخاء فهو على الخبر، معطوف على قوله: وَإِذْ جَعَلْنَا [البقرة ١٢٥]، فعطف خبرا على خبر.»

٨) **التفسير**

قال ابن زنجلة: «وحجتهم ما روي في التفسير في تأويل قوله:فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ أي: قبلها، فإذا كان آدم القابل، فالكلمات مقبولة.»

وقال «قرأ نافع: (وأحاطت به خطيئاته) بالألف، وحجته أن الإحاطة لا تكون للشيء المنفرد، إنما تكون لأشياء ... وحجة أخرى: جاء في التفسير: قوله: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته) أي: الكبائر، أي: أحاطت به كبائر ذنوبه.»

ونحو قوله تعالى: وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ [ص ٥٨]، قرأ أبو عمرو ويعقوب: (وأخر) جمعا، وقرأ الباقون: (وآخر) مفردا.

قال أبو علي: «روي عن ابن مسعود وقتادة أنهما قالا: الزمهرير، فتفسيرهما يقوي قراءة من قرأ: (وآخر) بالتوحيد، كأنه: ويعذب به آخر،

لأن الزمهرير واحد،ويجوز على تفسيرهما الجمع: (وأخر) على أن يجعل أجناسا يزيد برد بعضه على بعض على حسب استحقاق المعذّبين ورتبهم في العذاب، فيكون ذلك كقولهم: جمالان، وتمران، ونحو ذلك من الجموع التي تجمع وتثنى إذا اختلفت، وإن لم تختلف عندي ... »

٩)**اتفاق جماعة القراء**: والجماعة إما أن تكون مطلقة أو مقيدة، فمن المطلق **قول مكي**:

«وكل ما ذكرنا من الاختلاف فيما مضى، وما نذكر: فالاختيار فيه ما عليه الجماعة، إلا ما نبينه ... » ، وقوله أيضا- وقد تكرر-: «وما عليه الجماعة أحب إليّ»

ومن المقيد قول مكي في اختياره الفصل بين كل سورتين بالتسمية:

«اتباعا لخط المصحف، ولقول عائشة: (اقرءوا ما في المصحف)، ولإجماع أهل الحرمين وعاصم على ذلك، فإجماعهم على القراءة حجة أعتمد عليها في أكثر هذا الكتاب.»

قال الأزهري: فى قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ [الروم ٢٢]، قرأ حفص:(للعالمين) بكسر اللام، وقرأ الباقون: (للعالمين) بفتحها،«من قرأ: (العالمين) فهم الإنس والجن، جمع عالم، ومن قرأ (العالمين) فهو جمع العالم، خصّ أهل العلم بهاوالقراءة بفتح اللام لتتابع القراء عليه.»

قال أبو علي: فى قوله تعالى: حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [آل عمران ١٧٩] قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف: (يميّز) بالتشديد، وقرأ الباقون: (يميز) بالتخفيف.

«ولقولهم: (ماز) من المزية أن أكثر القراء عليها، وكثرة القراءة بها تدل على أنها أكثر في استعمالهم.»

وقال مكي: فى قوله تعالى: لَعَلَّكَ تَرْضى [طه ١٣٠]«قرأ الكسائي وأبو بكر بضم التاء، على ما لم يسمّ فاعله، والذي قام مقام الفاعل هو النبي صلى الله عليه وسلم، والفاعل هو الله جل ذكره، تقديره: لعل الله يرضيك بما يعطيك يوم القيامة، و (لعل) من الله واجبة،وقرأ الباقون بفتح التاء، جعلوا الفعل للنبي صلى الله عليه وسلّم، أي: لعلك ترضى بما يعطيك الله، ودليله قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى [الضحى ٥]، وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه.» هذا والله أعلم

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

رؤية جديدة لعلم التوجيه

كان أسلافنا رحمهم الله لا ينظرون إلى التوجيه إلا من النظرة التى حاولنا أن نوضحها فى هذه الورقات وهى النظرة اللغوية البحتة سواء من جهة ألفاظه ومبانيه او معانيه أو من جهة رسمه ومقاطعه وترتيبه على حد ما بينا

ولكن فى ظل متغيرات هذا العصر الذى يمثل حقيقة موجة عارمة من الانقلاب فى جميع مناحى الحياة من تقدم علمى وطبى ونفسى وطبيعى وفضائى كان للقرآن نصيب من هذه العلوم والتقنيات وذلك لأن مضمون القرآن لم يعد اللغة وترتيب الآيات وظواهر الرسم فحسب، فمنه آيات تكلمت عن علم الطب وأخرى تكلمت عن ظواهر الفلك وأخرى عن ظواهر الطبيعة والتاريخ والنفس وغير ذلك كثير

وكان أسلافنا قديما يسلمون بها دون نقاش فكان إيمانهم أقوى من أن تمسه حثالة أهل الدنيا بضر

وتخيل فى عصرنا لو لم يكتشف الناس فى عصرنا المحمول وشاشات العرض التى جعلت الواحد يكلم صاحبه وبينهما آلاف الكيلو مترات بل ويراه فلولا مثل هذا لكفر كثير من الناس بمثل حوار أهل الجنة وهم فى الجنة مع أهل النار كما وصفته سورةالصافات ،وكان الإنسان أكثر شئ جدلا أما ترى ظهور غربان الزنادقة والماديين ينكرون عذاب القبر ولو اكتشف العلم الحديث لهم شيئا كهذا لسارعوا بالإيمان ولكن الله يفعل ما يريد

فالقرآن تكلم عن فيضان نوح وسفينته وقوم عاد وحضارتهم وقد أنكرهما العلم الحديث ولولا تقنيات العلم لكفر الكثير ، وكذا ظاهرة انشقاق القمر التى تكلم عنها القرآن، فاكتشفوا بقمر صناعى متطور التقط صورا لحضارة عاد في جنوب الجزيرة تحت الرمال وسفينة نوح على جبل جودت من تركيا وبسبب رحلات الفضاء اكتشفوا انشقاق القمر وأقروا به ويصدق قول الله تعالى فى الكافرين:

"سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...الآية"

ويأبى الله إلا أن يظهره على أيدى الكافرين وكل هذه الظواهرما ذكرناها وما لم نذكرها بعيدة تماما عن اللغة والرسم والترتيب وغير ذلك مما تكلمنا عنه من مادة الاحتجاج

ونحن نقول ذلك لنقرر أن هناك مادة احتجاج أخرى كانت غائبة عن سلفنا والضرورة فى العلم تقدر بقدرها فلما توسع القرآن فى علومه وظهر الأعداء المتربصون به من تلك الثغرة فكان لابد من سدها والوقوف لحراسة الدين منها ولا يتأتى هذا إلا بتوسيع دائرة الاحتجاج وهو علم التوجيه

فيكون تعريفه الجديد واسعا وهو **"عزو ظواهر القرآن لغة وعلما ونفسيا وطبيا وطبيعيا ....الخ إلى أدلتها وأصولها المعتبرة "**

وكنا نقول من قبل "لغـًة" فقط ولكن القرءان فى ظل أنظار الخلق الآن والعلوم التقدمية لم يعد كتاب قراءة فقط ، أليس هو كتاب شامل لكل مسارات الحياة ،ألم يتكلم عن علوم لم يكن السابقون يلتفتون لها إلا من مقام التسليم دون سؤال بل وأصبحت القراءة فى ظل انتشار لغات أخرى نافست

اللغة العربية بجدارة لم تعد تمثل الإعجاز المطلوب الآن أمام المدعويين الحدثاء إلى الإسلام

أبو عبد الله المقرئ عفا الله عنه وعن والديه

ضوابط علم التوجيه بمفهومه الشامل

ولكننا فى ظل هذا المنهج الجديد نكون قد جسُرنا على جناب القرآن وقد ينبغ نابغ - وقد حدث - وأقحم فى القرآن ما ليس منه[٥] وبمجرد الظنة ،خصوصا وأن نظريات العلم الحديث قابلة للتجديد والتغيير

قد يكون فى كلامنا من انفتاح علم التوجيه على العلوم الحديثة لتوجيه ظواهر القرآن النفسية والعلمية والطبية وغيرها دعوة للجرأة على كتاب الله تعالى لذا فكان ولابد من الضوابط التى تعصم من الزلل وتحفظ جناب القرآن من المتجرأين ومنها

١)احترام التخصص لأن المتخصص هو أدرى الناس بمجاله وما يلحقه وما لا يلحقه ويستطيع التمييز بين مقدماته لتكون النتيجة والعاقبة محمودة

٢)لاينسب إلا ما أجمعواعليه بيقين وذلك لأن القرآن كلام الله الثابت بالتواتر فلا يثبت له معنى إلا بيقين وما سواه فلا كما فعل سلفنا فى تفسيره اللغوى فما ثبت من معنى لغوي متواتر ذكروه وما لا نبهوا عليه قلت وكذلك المعنى الطبى والعلمى والطبيعى والنفسى والفلكى وهكذا

٣)تضييق الدائرة فى حد الدفاع فقط فهو إذن ليس أمرا خياريا لنا لأنه يكون بذاك ضرورة والضرورة تقدر بقدرها وبذلك نكون وقفنا حيث وقف السلف فلولا ذهاب القراء ما جمع القرآن ولولا كثرة دخول العجم فى الإسلام ما وُضِع "علم الضبط " ولولا كثرة الفرق والأهواء ما دونت العلوم فكانوا يتورعون عن فعل ما لم يفعله سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

---

[٥] نحو الذى ادعى ان حربا كونية ستحدث بين الإنس والجن مع كائنات فضائية مهاجمة على كوكب الأرض استنبطه من قوله تعالى "سنفرغ لكم أيها الثقلان .....لا تنفذون إلا بسلطان

ما لم يضطروا إليه قلت وكذلك التنحى بالكلام فى هذه الظواهر القرآنية وإنما نجنح له بسبب ظهور الطاعنين من الغرب والملاحدة فيه من جهتها وضعف إيمان الناس فكان ولا بد من البحث عن وسائل دفاع جديدة للذب عن حياض القرآن وحرمة كلام الله عز وجل فكان علم التوجيه بالمعنى الجديد هذا

٤) لا يتكلم إلا فيما بلغ حد التطابق أو اللزوم بين النص القرآنى والاكتشاف الحديث فدلالته تكون صريحة يقينية لا مجرد عبث وهوجائية وومضة إيمانية قابلة للإظلام سرعان ما تنطفئ لأن هذا سيكون له عواقب وحسابات لم نعد لها من الطعن و بلبلة العوام وكثرة الدعاوى فى القرآن تورث ضعف الدعوى وأنه لا أساس لها فيترك الناس ما له أساس وثبوت وتواتر فالتفسير بالتضمين والإلصاق بالقرآن ما لا يتصل به أو يحتمله ولو من قريب لا يصح

وكل هذا ولا غناء عن التوجيه اللغوى فلا يزال كلاب الزنادقة تعوى ويعزفون على بُعد المسلمين عن لغتهم العربية وجهلهم بعلومها من نحو وصرف وبلاغة لبعض الظواهر الإعرابية الغريبة التى لا يعرفها إلا المتخصصون لأنه أصل الإعجاز وأول مظهره الذى تحدى القرآن به العرب وهم أرباب الفصاحة

ثمرات علم التوجيه

١)زيادة الإيمان والثبات على دين الله تعالى والحق وذلك لظهور حجته ووضوح محجته بهذا العلم والإنابة والتوبة والرجوع إلى الله عز وجل فهذا الأعرابى الذى كان شاطرا من شطار الطريق عندما سمع قول الله عز وجل وإيقاع كلماته من قوله "وفى السماء رزقكم وما توعدون " الذاريات رجع وقال من الذى أغضب الحليم حتى يقسم

والآخر عندما سمع قارئا يقول آخر آية السرقة"والله غفور رحيم"انظر كيف رده وأنكر على القارئ ثم قال لما عصى فقطع السارق عز فحكم فكيف يغفر ويرحم

وبلغنا أن أحد المستشرقين عندما أراد أن يحارب الإسلام ففتح المصحف فتوافق مع قوله تعالى"فإما تثقفن بهم ..."فأسلم الرجل وحين سئل قال آية لو أردت تفسيرها لكتبت فيها صفحات جمعت كل تلك المعانى

٢)معرفة قدرة الله تعالى فى كتابه وانه كلام محكم قرآنا عربيا غير ذى عوج وانه ارسل رسوله بالهدي ودين الحق وما ينطق عن الهوى.

فعلم التوجيه يكشف لنا كيف قال الله عز وجل كلامه فلما قال فى الفاتحة اهدنا أتت بعده البقرة فقال "هدى للمتقين" وهذا سر من أسرار توجيه توالى الآيات والسور

وعندما حذف الياء من "أخرتن" الإسراء أثبتها فى موضع المنافقون ومن أسرارها أن الأولى لم يطلبها إبليس لنفسه والثانية يطلبها المحتضر لنفسه فتناسب وضع الياء للملكية وهذا من أسرار الرسم وتوجيهه

وكان صلى الله عليه وسلم لا يهمز إلا لمن أتاه ممن يهمز لذا كان الهمز غريبا فى قراءة أهل المدينة وهذا من ملائمته لبيئة قومه صلى الله عليه وسلم وهو من التوجيه اللغوى، فكل ظاهرة من ظواهر القرآن العظيم لها معنى ومقصود أدركناه أم لم ندركه

٣)معرفة أصلية كتاب الله تعالى ووثاقة نصه وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فبثبوت ظواهر التوجيه نعلم أنه ليس بكلام بشر ولا خيالات الشياطين ولا أسجاع الكهان وقد ذكرنا قصة ابن الأثير المؤرخ والمبرد فى بيان التوجيه البلاغي

إن علم التوجيه مصدر الآن من مصادر الثبات والإيمان والدفاع القوي عن بيضته وقد ظهر لنا فى هذا العصر من العلوم ما نستطيع به توجيه أمور كثيرة كانت مسلمة عند أصحاب الإيمان من اجدادنا اما فى مثل هذا الزمن الذى تحركت فيه حتى ثوابت الدين فلا بد من التحرك ومواكبة العصر والتشكل بجلبابه جديد يرد كثيرا ممن تزعزع إيمانهم لحظيرة الإيمان من خلال التطور العلمى والطبى والنفسى والفضائى الذى من خلاله نستطيع توجيه كثيرا من ظواهر القرآن فقوم عاد لم يذكروا إلا فى القرآن وطعن المستشرقون فيه بسبب ذلك ولكن بتقدم وسائل الاستكشاف الفضائية ينكشف هذا الغطاءويعلم مكانهم فيتحول هذا التقدم لسلاح يدافع عن كتاب الله تعالى ويزيده قوة ويقينا فى قلوب الضعفاء

ومراحل الجنين التى اكتشفها أحد علماء الأجنة فى كندا ويكتشف أن مراحل الأجنة أصلا فى كتاب الله تعالى منذ أربعة عشر قرنا وهذا من التقدم الطبى الذى يفيد مثل هذه الآيات من كتاب الله

والطبيب اليهودى الذى اكتشف أن المراة التى تعاشر الرجال تعرف بوجود بصماتهم في جسدها وأن هذه البصمة تظل فيه ما يقارب الثلاث أشهر ومن ثم تعلم الطاهرة من الزانية فلما علم أن في الإسلام تمكث المراة عدتها ما يساوى ذلك علمنا حكمة التشريع من قوله تعالى:

"واللائى يئسن من المحيض من نساءكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن..."الطلاق، وأسلم الرجل لما أدرك طهارة الإسلام وأنه لا ينطق عن الهوى

وكل هذا يصب فى علم التوجيه لأنه معْنِىٌّ بعزو وتأصيل ظواهر القرآن الكريم لغويا وعلميا ونفسيا وطبيا وطبيعيا فهو بذاك أوسع من عزو القراءة لغة

٤)انتقال بعض الآيات من ظنية التفسير ليقينه وذلك نحو تفسير نشأة الخلق وقد ورد فيها تفسير ابن عباس ثلاثة أقوال من قوله تعالى:

"أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض..." ومنها كونهما كانت متلاصقتين ومتلاحمتين وهذا ما اكتشفه العلم الحديث ونحو انشقاق القمر وأنا لااقصد الثبوت عند المسلمين خصوصا لأنه ثابت بالتواتر ولكن أقصد كظاهرة طبيعية واكتشفها رواد محطة ناسا الفضائية الأمريكية

٥)توضيح بعض التفسيرات التى كانت مسلمة الخفاء قبل ويحتملها التفسير مما يزيد الإيمان نحو قوله تعالى :

"إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها "البقرة

فكان من معانيها لغة اى وما فوقها فى الصغر ولكن اكتشف العلم الحديث بالمناظير المكبرة خمسة آلاف مرة كائنات تعيش على ظهر البعوضة حقيقة وكقوله تعالى:

"يا أيا الناس ضرب مثل فاستمعوا له.." الحج

فكيف أن الذبابة إذا سلب من الطعام شيئا لا يستطيع أحد أن يستنقذه منه واستعمل القرآن لفظ الاستنقاذ ليشمل المعنى اللغوى الظاهر والمعنى العلمى المكتشف حديثاردا على من زعم علميا وتقنيا اليوم القدرة على رد ما اخذته الذبابة من طعام بالمناظير والتشريح فاكتشف العلم أن الذبابة خصوصا بمجرد امتصاصها شئ بخرطومها تحول إلى مركبات بسيطة حتى لو أخرجوها فليست هى الطعام الذى امتصته

٦)توسيع دائرة التفسير مما يؤكد المعنى المطلوب والحقيقى كما فى قوله :

"الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملا .."الملك

فكل التفاسير تدور على الموت الكلى للإنسان والحياة الكلية التى هى الدنيوية وكان هذا مفهومى كما قالوا ولكن هذا التفسير لم يرو غلتى من الفهم والمعنى فكنت أقف أمام هذه الآية وأقول يارب ما علاقة الموت والحياة لابتلاءنا أينا أحسن عملا وأى خدمة يسديها الموت و الحياة لذلك وكنت أرى أن فى كلام المفسرين نوع تفلسف فيها ولو أفلحت نفسى فى فهم دورالحياة في الابتلاء أينا احسن عملا لأنه سوق العمل والمنافسة فى الطاعة لم أفلح فى فهم حكمة الموت فى معرفة الأحسن عملا فإن بعد الموت لا عمل ولا يجدى العمل ،قلت ولكن أثبت الطب الحديث أن للموت والحياة تفسير آخر لهد دور قوى في تفسير الآية وهو أن كل يوم مئات آلاف المرات يحدث فى جسم الإنسان خصوصا موت وحياة لخلاياه فلولا

موت خلايا وحياة أخرى ما استطاع المؤمن أن ينهض بالعمل والاجتهاد بتجديد النشاط والقيام بالوظائف وبهذا المعنى تعانق الموت بالحياة بحكمتهما وهو التنافس والعمل وهو أبين وأشد وضوحا من التفسير الأول، والتفسير الثانى اكتشفه العلم الحديث ولم يكن معروفا من ذى قبل

ومنه أيضا من أشار لفتح تاء امرأت المتزوجة دون الأخرى وجنت الواقعة دون غيرها وهذا من الناحية اللغوية وأشرنا لذلك

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله المقرى

الزيتوني بن أحمد السيد السرباني

مدرس القراءآت وعلوم القرءآن بالأزهر الشريف

المجاز والقارئ المقرئ بالقراءات العشر الصغرى والكبري

تمهيدي الماجستير كلية القرآن الكريم جامعة الأزهر

المنتدب بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الهدى بدولة بوركينا

أبو عبد الله المقرى عفا الله عنه ووالديه